دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الإفتاء والبحوث - قسم البحوث

فقه الصيام

على ضوء

الكتاب والسنة

« واجتهاد الأئمة »

بقلم الفقير إلى الله تعالى

الدكتور / أحمد بن عبد العزيز الحداد

عفا الله عنه

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ-١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نحمدك اللهم على توفيقك، ونشكرك على مزيد آلائك، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد سيد أنبيائك، وخير أصفيائك، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار، وبعد.

فإن فريضة الله تعالى على عباده في صيام شهر رمضان لجديرة بأن تَتَوالى فيها كتابة المفسرين، والمحدثين والفقهاء، وأرباب الأذواق الرفيعة، والكلمات الصادقة، لما يحمله الصوم من معاني عظيمة في كل مجال من مجالات المعرفة.

وما أحسن لو جمعت هذه المعاني في كتاب واحد حتى يحقق رغبة أولي الرغبات، وتغني الباحث عن متفرق الكتابات، ولقد وُفِّقَ لهذا أخونا الفاضل الدكتور أحمد بن عبدالعزيز الحداد حيث حاول جمع ما تفرق في موضوعات الصيام في كتابه هذا الذي أسماه: **«فقه الصيام على ضوء الكتاب والسنة واجتهاد الأئمة»**

فقد أجاد فيه كل الإجادة من حيث سبك العبارة ودقة الإشارة، وحسن التقسيم والاستدلال، ودقة الاستنباط، فجاء كتابه حافلاً وعمله قيماً . . . نسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

عيسى بن عبدالله بن مانع الحميري

المدير العام لدائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب الصيام على عباده المؤمنين، ليتزكوا به من دنس المخطئين، ويرتقوا به إلى درجات المتقين.

أحمده حق حمده المكين، وأشكره على فضله المستبين، وأثني عليه الخير كله في كل وقت وحين، وأصلي وأسلم على خاتم رسله، وسيد أنبيائه أجمعين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، القائم بطاعة الله تعالى، والداعي إليه حتى أتاه اليقين، فصلِّ اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الصيام من أجل العبادات، وأحبِّها إلى رب البريات اختصه بالذكر لنفسه، وأكرم الصائم ببالغ كراماته، وأجزل له عظيم مثوباته، لذلك كان روضة المؤمن، يأنس فيه بمراقبة الله تعالى، ويتحلَّى فيه بذكره وشكره، ويترقب جزيل عطائه في دنياه وآخرته.

ولا ريب أنه حينئذ سيرغب في الاطلاع على ما يدور حوله من كلام لِلّه تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللفقهاء، مما يتعلق بفضائله وأحكامه وآدابه.

ولما كان حال المسلم كذلك، وكانت الكتابات المفردة حوله، قد لا تحقق له المراد، لأن منها ما عُني بذكر فضائله، أو أدلة أحكامه، أو فقه مسائله، أو أسراره وآثاره. . ولعله لم يقف على كتاب عُني بالأدلة الشرعية والاستنباطات الفقهيه، والأسرار التشريعية جنباً إلى جنب في مصنف واحد، فكانت الحاجة داعية إلى نفع المسلم الحريص على الفائدة بكتابة تحقق له تلك الرغبة.

فرأيتُ بتوفيق الله تعالى أن أسهم في نفعه بهذا البحث النافع إن شاء الله تعالى، الذي يجمع ما تفرق في غيره، فيحقق له البغية ويسعفه بالرغبة.

وحقاً أقول إني قد بذلت فيه جهداً في الجمع والتنسيق وحسن الإختيار إن شاء الله تعالى. وأرى أني قد ألممت بطرف الموضوع، وأتيت بمسائله المتفرقة المدَّللة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وإدراك العلَّة التي يناط بها الحكم ويدور عليها القياس، مبيناً أقوال العلماء، وموثقاً قولي بالنقل الصريح والمراجع المعتمدة.

لهذا فإني أضرع إلى المولى جل في علاه أن ينفعني به

والمسلمين يوم لا ينفع مـــال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يعم النفع به كل من اقتناه أو قرأه أو رجع إليه، راجياً من كل أولئك صالح الدعاء، وإبداء النصح الصادق المخلص. . والله ولي التوفيق وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

الدكتور/ أحمد بن عبد العزيز الحداد

عفا الله تعالى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الصيام

الصيام في اللغة يعني الإمساك مطلقاً، ومنه قوله سبحانه في شأن مريم عليها السلام: ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي إمساكاً عن الكلام مطلقاً في شأن مولودها وغيره بدليل قوله بعده: ﴿فلن أكلّم اليوم إنسيًّا﴾ [مريم: ٢٦] (١).

قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم (٢).

والصائم من الخيل: القائم الساكن الذي لا يطعم شيئاً (٣).

قال النابغة الذبياني:

خيل صيام وخيل غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تلعك اللُّجما (٤)

---

(١) تفسير الجلالين: ٢/ ١٩.

(٢) الصحاح مادة صوم ٥/ ١٩٧٠.

(٣) لسان العرب مادة: صوم.

(٤) انظر ديوانه ص: ١٦١

ثم استعمل في الشرع في الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى المغرب بنيَّة[1].

وأصبح المعنى الشرعي هذا هو المعنى المتبادر من لفظ الصوم في اصطلاح التخاطب

تشريع الصيام

١ ـ الصوم في الديانات القديمة :

الصوم من ركائز الإسلام التي تَعَّبد الله بها خلقه على ألسنة رسله ومختلف شرائعه كما قال مجاهد : «كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة»[2]. بل حكى القرطبي عن أهل التاريخ أن أول من صام رمضان نوح عليه السلام لما خرجَ من السفينة[3].

ويدل على فرضيته على من كان قبلنا قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة : ١٨٣].

---

(١) التعريفات للجرجاني ص : ١٣٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٧٤ .

(٣) تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٠ .

ومعنى كتب: فرض، فالآية الكريمة تخاطب المؤمنين بفرضيّة الصوم عليهم، وأنه سبحانه كما افترضه عليهم، فقد افترضه على أمم الرسل من قبلهم، ليكون ذلك حافزاً لهم على الامتثال.

ذلك أن الصيام فيه مشقة ترك الشهوات ومغالبة النفس في ترك الملذات والطيبات، فإذا علمت أنها كُلِّفت بما كُلِّف به غيرها هان عليها الإمتثال، وسارعت إلى المنافسة في عمل الخير كما هو شأنها في كل بِر.

وهذا من حكمة التشريع في ترويض الناس على تقبل أحكامه، ونظائر هذا في الكتاب الكريم كثيرة كما في قوله سبحانه: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وقوله: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾

والتشبيه في الآية لأصل فرض حقيقة الصوم وما هيته لا في أصل كيفيته، إذ لا يلزم من التشبيه الموافقة في جميع أوجه الشبه بين المشبه والمشبَّه به، بل يكفي في التشبيه الموافقة في بعض وجوه الشبه[1].

(١) انظر تفسير التحرير التنوير للطاهرين عاشور ٢/ ١٥٦.

ووجه فرضيته على الأمم من أهل الكتاب قبلنا أنه من العبادات التي تروض النفس على التَّقوى ومكارم الأخلاق، التي بعث بها الأنبياء أجمعون كما صح عنه صلى الله عليه وسلم في قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

وقد أشار إلى ذلك المولى سبحانه في هذه الآية الكريمة فقال: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي ليحصل لكم التَّقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنَّة»[2]. أي يقي صاحبه من الوقوع في الشهوات والمعاصي، الموصلة إلى غضب الله تعالى.

٢ـ بدء الصوم في الإسلام

ولما كان الصيام من العبادات المعروفة لدى أهل الكتاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يوح إليه بشيء فيه ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من أهمية

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٨١، والخرائطي في مكارم الأخلاق ١/ ١والبزار وغيرهم كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٨. وقال ابن عبد البر في تجريد التمهيد ص٢٥١ رقم ٨١٧ هذا الحديث يتصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم، باب فضل الصوم برقم١٨٩٤ ومسلم في الصيام باب الصيام برقم ١١٥١.

الصوم في الشرائع، فقد كان يصوم قبل أن يفرض عليه الصيام كما أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بصيام يوم عاشوراء فلمَّا فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر»(١).

وفي رواية: «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان وكان يوماً تستر فيه الكعبة ـ يعني تلبَس كساءها ـ قالت: فلمَّا فرض رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شاء أن يصومه فليصمه ومن شاء أن يتركه فليتركه» (٢).

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجَّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه، فقال صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري في الصوم، باب صوم عاشوراء برقم ٢٠٠١، ومسلم في الصيام باب صوم عاشوراء، برقم ١١٢٥ واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام..﴾ برقم ١٥٩٢.

وسلم: «أنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه[1].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الصيام كان من بدء الإسلام بل كان عادة من عادات الجاهلية، اقتبستها من يهود الجزيرة في يثرب وغيرها، كما في رواية أخرى للحديث السابق: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلمَّا فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه»[2].

فدل الحديث على أنّ الصيام في الجاهلية وصدر الإسلام كان معروفاً، ويتعبّد به الله تعالى ولكن لم يكن في رمضان.

حتى كان الثاني عشر من شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة النبوية حينما نزل قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً

---

(١) أخرجه البخاري في الصوم، باب صوم عاشوراء برقم ٢٠٠٤، ومسلم في الصيام برقم ١١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم، باب صوم يوم عاشوراء برقم ٢٠٠٢ ومسلم في الصيام، باب صوم يوم عاشوراء برقم ١١٢٥.

معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين. .﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

فأصبح الصيام بعدئذ واجباً لكن على التخيير، فمن شاء صام، وهو الأفضل، وقد أشار إلى فضله المولى سبحانه بقوله: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

ومن شاء أفطر، وأخرج عن كل يوم فدية طعام مسكين،

كما أخرج ذلك البخاري من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: «لمّا نزلت: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان من أراد أن يفطر يفتدي حتى نزلت الآية التي بعدهافنسختها[1].

ولا زال الأمر كذلك حتى نزل قول الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥]

(١) البخاري في التفسير برقم ٤٥٠٧.

فنسخ التخيير في حق القادر على الصيام، وتعين عليه الصوم، وبقي في حق المريض والشيخ الهرم. كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال في هذه الآية: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ قال: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً، ثم قرأ: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (١).

حكمة تشريع الصيام

العبادات الشرعية لم يشرعها الله تعالى إلا لحكمة عالية يعود نفعها للعابد في آجل أمره وعاجله، ومنها ما بينها الله تعالى لعباده، وتسمى عند العلماء عبادة معقولة المعنى، أو عبادة غير محضة. ومنها ما لم يبينها ليمتحن العبد بالامتثال، وتسمى عبادة معقولة المعنى أو عبادة محضة.

والصيام من العبادات المعقولة المعنى، لما بيّن الله تعالى من حكمه وآثاره ومنها:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير برقم ٤٥٠٥ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٠٤.

أولا: أنه يجلب التقوى

الصيام من العبادات العظيمة ذوات الأثر البَيِّن في الدنيا والآخرة، في سلوك الفرد وصلاح المجتمع، وقد أشار إلى ذلك المولى جل شأنه بقوله سبحانه: ﴿. . لعلكم تتقون﴾ أي ليحصل لكم التَّقوى بسبب الصوم.

والمعنى أن الصوم وسيلة لاكتساب ملكة التقوى - التي تعني امتثال الأوامر واجتناب النواهي، بحيث لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك، كما تعني: العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل، والتي هي خير زاد يتزود بها المرء للقاء ربه، كما قال سبحانه: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧]

وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١]

وهي الجالبة للخير والدافعة للضير كما قال سبحانه: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٣٠٢]

وهي مفتاح العلوم وسبيل الوصول إلى الأنوار والفهوم كما قال سبحانه: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة:] وكما قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ [الأنفال: ٢٩] إلى غير ذلك من الأمور العظيمة التي تأتي كثمرة من ثمار التقوى والعمل الصالح والتي من أجلها بالإضافة إلى ذلك ثناء الله تعالى على المتقين بما يعظم وصفه.

كقوله سبحانه: ﴿إن للمتقين مفازا..﴾ [النبأ: ٣١] وقوله: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧] وقوله سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣] والآيات في هذا الباب كثيرة

ولا ريب أن الصيام عامل كبير من عوامل اكتساب التقوى كما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٣]

وإنما كان الصيام جالباً للتقوى؛ لما يكون عليه حال الصائم من المراقبة الدائمة لمولاه بقلبه وجوارحه، في حال خلوته مع نفسه، أو حاله مع غيره، إذ يتذكر دائماً أنه صائم، حتى وإن أسيء إليه فإنه لا يقدر على أن يزيد على قوله: (إني صائم) خشية أن يجرح صومه وعملاً بما أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «الصيام جنَّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم..»[1]

والصائم يعلم أنه إن لم يتمثل هذا الهدي فإنه ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[2].

لأن الصوم كما عُرّف سابقاً هو الإمساك عن المفطِّرات الحسيِّة والمعنويّة فمن لم ينته عن قول الزور ونحوه، فإنما صام عن المفطرات الحسية فقط، وكان عليه أن يصوم عن المفطرات المعنوية التي هي المعاصي، حتى يتربيّ على التقوى وإلا فإن الله

(١) أخرجه البخاري في الصوم، باب فضل الصوم برقم ١٨٩٤.
(٢) أخرجه البخاري في الصوم برقم ١٩٠٣.

تعالى غنيٌّ عن تعذيبه نفسه بالجوع والعطش.

ولا ريب بأن الصائم إذا ما حمل في نفسه معنى الصوم فإنه سيتّقي المعاصي جملة وتفصيلاً.

فيرتاض بصومه على هذا الحال من اتقاءالمعاصي حتى يصير تقياً.

وقد أشار إلى هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «الصِّيام جُنَّة..» أي وقاية يقي صاحبه من الوقوع في المعاصي، فيفوز برضوان الله تعالى ويقي نفسه الوقوع في نار جهنم التي أعدت للعاصين.

ثانياً: يذكر بنعمة الله تعالى ويحقق شكره

لا يكاد يشعر الإنسان - وهو يتقلَّب في النعم - عظيم فضل الله تعالى عليه، لأنها غدت مألوفة له، وكأنها جزء من حياته وشخصيته التي لا تنفك عنه.

فإذا افتقدها علم ما كان عليه من قبل؛ لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها وكما قالوا: وبضدِّها تتميز الأشياء.

وفي الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية» والصائم حينما يجد نفسه وقد مسَّه الجوع والظمأ، أو نازعته شهوته لما أحلّ الله له من النساء، لم يكن يعرف ذلك إن كان من أهل اليسار وعندئذ سيتذكّر البطون الجائعة، وذوي الحاجة من أبناء أمته فعندها يدرك عظيم فضل الله تعالى عليه ويزداد له شكراً، وهذه حكمة يثمرها الصوم الشرعي، وأشار إليها المولى جل شأنه بقوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه. .﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلّكم تشكرون﴾ [البقرة: ١٨٥]

أي إذا أديتم الصوم على نحو ما أمركم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من اتقاء المحارم فيه وحفظ حدوده فإنكم تكونون من الشاكرين الله تعالى، الذين مجَّدهم الله تعالى وأثنى عليهم في محكم آياته بآيات كثيرة كما في قوله سبحانه: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧]

ورضوان الله سبحانه غاية ما يتمناه المرء من ربه سبحانه